الإرهاب التربوي وعلاقته بالإخفاق الدراسي

أ.د عبدالحميد عبد الدائم المنصوري•

المقدمة

يتعرض عدد من متعلمي مرحلة التعليم الأساسي أثناء تواجدهم في المحيط المدرسي إلى أزمات نفسية مردها إلى ما يعانونه من ممارسات عنيفة وصادمة من قبل المعلمين والعاملين بالمدرسة مما قد يؤثر سلباً على تحصيلهم الدراسي ونجاحهم العلمي , فلقد شهدت مدارسنا مجموعة من الظواهر السلوكية السلبية التي يقوم بها المعلمون داخل المجال المدرسي بدرجة أصبحت تهدد مصداقية مردود نظامنا التعليمي .

فقد تفاقمت هذه الظاهرة بشكل مطرد وملموس , واتجهت نحو الانتشار والتجذير، بل تحولت إلى ممارسة مألوفة يتعايش معها النظام المدرسي, مما يؤكد على انتشارها بعد أن كانت تعبر عن حالات نادرة أو استثنائية, فلم يمارس الرعيل الأول من المعلمين هذه الأساليب المفعمة بالشدة والقسوة بمثل ما نلاحظه في الآونة الاخيرة, فقد ارتفعت الأصوات تنادي باستعمال وسائل العقاب وعودة عقوبة الردع بالضرب الى منظومتنا التعليمية، وهو ما ترفضه أساليب ومبادئ التربية الحديثة التي تنادي باستعمال الأسلوب الديمقراطي في التعليم, المتمثل في معاملة المتعلم بالرفق، ونبذ العنف، وتهيئة المناخ العلمي الملائم للمتعلم, وإزالة كل العقبات الكأداء من أمامه، والعمل على تمهيد الطريق نحو العلم والمعرفة بشكل ميسر، واشعاره بمتعة التحصيل المعرفي ونجاحاته مستقبلاً، فالصرامة المبالغ فيها من جانب بعض المعلمين لهي أكثر تأثيراً في اكتساب المتعلم مدلولات العنف بحكم مرحلة النمو التي يمر بها المتعلم ، والتي تتصف بسرعة الاكتساب في تشكيل ملامح شخصيته.

إن أسلوب العقاب بأنواعه البدني كالضرب, واللفظي كالتوبيخ, والنفسي كاحتقار المعلم له أضرار أكثر من نفعه وخاصة على المستوى البعيد(الطويبي، 1986،ص26)، وحيث إن مؤسساتنا التعليمية تلعب دوراً أساسياً في تشكيل سلوك المتعلم, فإننا نرى ضرورة معالجة الفضاء المدرسي، مما يسوده من سلوكيات تسئ إلى سمعة التعليم، وتشويه صورة المعلم ببلادنا, والعمل على خلق مناخ تعليمي ملائم حتى يؤدي المتعلم دوره بشكل فعال ، ويحقق نجاحاً دراسياً ايجابياً يخلو من الاخفاقات والأزمات النفسية التي تحد من فاعلية المتعلم.

• كلية التربية – جامعة الزاوية

إن ما نهدف اليه في هذه الورقة, وننادي به بأعلى صوت هو إيقاف عقوبة الضرب التي يتعرض لها أبناؤنا في محيط الأسرة أو المؤسسة التعليمية, لما لها من آثار سلبية على شخصية المتعلم, فيفقد ثقته بنفسه, وينخفض تقديره لذاته ويعمق شعوره بالإخفاق.

اشكالية الدراسة:

بالرغم من انتشار المبادئ والقيم التربوية الحديثة في مجال التربية والتعليم ,فمازالت مظاهر العنف تجد لها مكاناً بين جدران الفصول والمؤسسات التربوية المختلفة, حيث تتلقى وجوه أبنائنا صفعات شديدة تتوهج حمرة تحت تأثير أكف المعلمين, وتتورم أيديهم تحت وطأه عصيهم, اضافة الى ما يتعرضون له من عنف لفظي متمثلاً في التوبيخ والشتائم وحالات القهر, وهذا من شأنه أن ينعكس بأفدح الخسائر على مستوى نموهم من حيث تحصيلهم العلمي والمعرفي, ونموهم النفسي فيما يتعلق بالقلق والتوتر, ونموهم الاجتماعي من حيث قدرة اندماجهم وتوافقهم مع الآخرين . فمما–لاشك فيه– أن العنف التربوي يؤدي الى إنتاج الشخصية السلبية التي تعتريها روح الهزيمة والضعف والقصور, وهو ما يقود الى إعاقة عملية النمو والتكامل والازدهار في الشخصية الانسانية, وتعريض المتعلمين لعملية استلاب شاملة تكرس جميع مظاهر القصور والسلبية في الشخصية الإنسانية (علي وطفة,1997, 169) وهو ما يجعلنا القيام بدراسة أهم المظاهر العامة لظاهرة الإرهاب والعنف التربوي, الذي يمارسه المعلمون في اطار المدرسة والعمل التربوي المنوط بهم.

إن ما نعنيه بالإرهاب التربوي يختلف الى حد كبير عما نقصده بالعقوبة التربوية التي تشير إلى الفعل السلبي الذي يوقعه المعلم على المتعلم كالضرب والحرمان والتهديد بهدف منع المتعلم من ممارسة نشاط سلوكي محدد.

أما الإرهاب التربوي فيتميز بالاتساع والشمول, ودرجة العمق والتأثير, فهو أعم وأشمل من العقوبة التربوية, بل تعد العقوبة إحدى مكونات الإرهاب التربوي, فهو يشير إلى ما يمارسه المعلم من عنف بشكل متكرر على المتعلم عبر فعاليات تربوية سلبية متعددة. وبهذا المفهوم يمكن القول إن المواقف والخبرات التربوية المؤلمة التي تتعمق جذورها عبر الزمان والمكان في سيرة المتعلم تمثل بحق ما يعرف بالإرهاب التربوي, بمعنى آخر "أن الإرهاب التربوي يتحقق عبر سلسلة من الخبرات المؤلمة التي يعانيها المتعلم عبر سيرته التربوية في اطار الأسرة والمدرسة".

ومن خلال ما تقدم يمكن تعريف الإرهاب التربوي بأنه نسق الفعاليات التربوية والخبرات السلبية المؤلمة كالعقوبات الجسدية والاستهزاء والسخرية والتهكم, وغير ذلك من الاحباطات النفسية التي تشكل المناخ العام لحالة الخوف والتوتر والقلق التي يعانيها المتعلمون, والتي تستمر عبر الزمن وتؤدي إلى نوع

من الاعاقة النفسية والفكرية, وإلى حالة من الاستلاب وعدم القدرة على التكيف والتأقلم(وطفة،1997، ص165). ويمكن تحديد اشكالية الدراسة في التساؤل العريض التالي: ما الإرهاب التربوي وعلاقته بالإخفاق الدراسي ؟

تساؤلات الدراسة:-

1. ما مفهوم الإرهاب والعنف التربوي؟
2. ما مفهوم العقاب التربوي, وتأثيره على نمو المتعلمين؟
3. ما علاقة الإرهاب التربوي بالإخفاق الدراسي؟

أهداف الدراسة:-

1. التعرف على مفهوم الإرهاب التربوي المسلط على المتعلمين.
2. التعرف على العقاب التربوي وتأثيره على نمو المتعلمين.
3. التعرف على علاقة الإرهاب التربوي بالإخفاق الدراسي.

أهمية الدراسة:-

تكمن أهمية هذه الدراسة بما تقدمه من اسهام نظري, وذلك من خلال دراسة العلاقة بين المتغيرين, وهما الإرهاب التربوي وعلاقته بالإخفاق الدراسي, ويتضح الإسهام النظري في إضافته العلمية التي تشكلها المرجعية العلمية, والمتمثلة في التعرف على عودة ظاهرة الإرهاب التربوي في الأسرة والمؤسسة التربوية, وتفشيها مادياً ولفظياً وما تنطوي عليه من آثار سيئة على "متعلمي مرحلة" التعليم الأساسي من إخفاق دراسي, ومحاولة التوصل إلى حلول ونتائج للحد من هذه الظاهرة ومقاومتها في مؤسساتنا التعليمية, ويمكن اختزال أهمية الدراسة في النقاط التالية

1. تعمل هذه الدراسة على حث كل من الأسرة والقائمين على مهنة التعليم, والإدارة التعليمية على فهم واستيعاب أبعاد الإرهاب التربوي, والعمل على أقصاء هذه الظاهرة من مدارسنا لما لها من آثار نفسية على المتعلمين لمرحلة التعليم الأساسي.
2. تكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن كوامن الإرهاب التربوي وآثاره السلبية , ذلك أن اهمالها قد يسبب في عواقب غير محمودة على العملية التعليمية , وبالتالي انعكاسها على المجتمع بشكل عام , فمن الضروري السعي نحو تقصي هذه الظاهرة, وتحديد حجمها وأسبابها مما يساعد في إيجاد الحلول المناسبة لها.

3. إن هذه الدراسة سوف تفتح الطريق أمام مزيد من الدراسات الأخرى, التي تبحث في قضايا الإرهاب التربوي, وما يؤدي إليه من احباطات نفسية, واخفاقات تربوية تحد وتقلل من نجاح العملية التعليمية لدى متعلمي هذه المرحلة.
4. إن هذه الدراسة تنطلق من ضرورة الإجابة عن التساؤلات التي طرحت من خلال اكتشاف ظاهرة الإرهاب التربوي, وذلك من خلال الصورة الحاضرة لواقع هذه الظاهرة وآثارها السلبية وعلاقتها بالإخفاق الدراسي.

المرجعية العلمية

1. العقوبة التربوية:

لما كانت العقوبة التربوية إحدى مكونات الإرهاب التربوي كما أسلفنا , فإنه من الضروري مناقشة العقاب أو العقوبة التربوية قبل ظاهرة الإرهاب التربوي, فقد ارتفعت في الآونة الأخيرة اصوات تنادي بإعادة وسائل العقاب الى النظم التعليمية بعد ما لاحظ المعلمون تكاسل طلابهم عن متابعة دروسهم , وعدم رغبتهم في انجاز واجباتهم مما أدى الى تدني المستوى الدراسي عند أغلبهم . وأوعز عدد من المعلمين سبب ذلك الى غياب الرادع الذي يردع المخالفين ويعيدهم الى جادة الصواب , حيث أدرك المعلمون عن قناعة أن الحل يكمن في انزال العقوبة البدنية على المتعلمين, واستخدام وسيلة الضرب للحد والقضاء على حمى هذه الظواهر السلبية –سالفة الذكر– إلا أن المعلمين كثيراً ما يصدمون بقرارات وزارية لمنع استخدام الضرب والعقاب البدني الذي يستحقه المتعلمون , وأصبحت هذه القرارات قيداً يكبل حركة المعلمين نحو تحقيق اهدافهم المنشودة,

وأنه في وقت غير بعيد كانت الأنظمة التعليمية السائدة تبيح العقوبة البدنية كوسيلة من وسائل حث المتعلمين على التعلم , وتقريعهم على الكسل , وعدم تجاوبهم للعمل التعليمي, وفق شروط محددة وضوابط محكمة لا يمكن تجاوزها , وتجعلها في دائرة الاعتدال والتوسط حتى تأتي أكلها بالفائدة كل حين , مبررين إصرارهم على انزال العقوبة البدنية على المتعلمين بما تقتضيه مبادئ الشريعة الاسلامية التي استند عليها وقررها علماء التربية المسلمون لتقويم المتعلمين سلوكياً وتعليمياً وهي على الترتيب

1. النصح والإرشاد بأسلوب مقبول ترضاه النفس ولا تمله.
2. الترغيب بالثواب للمحسن, والتهديد بالعقاب للمسيء.
3. التأديب على إنفراد, ثم التقريع أمام أعين الأشهاد.
4. انزال العقوبة بالضرب آخر الأمر , فكما يقولون آخر الدواء الكي.

هذه المبادئ لم يتوسع المربون القدامى في تجاوزها , بل قيدت بشروط وحدود منها: الإذن من ولي أمر المتعلم , وأن يكون الضرب في مكان مأمون من الجسم , وأن يكون غير مبرح , وألا يترك آثار جانبية أو عاهات جسدية, وأن تكون العصا رطبة لينة , وألا تتجاوز العقوبة ثلاث ضربات , وما زاد على ذلك لابد من أخذ الإذن من الأب , لأن الهدف من الضرب التهديد والتأديب , لا الانتقام والتشفي , كما نلاحظ عند بعض المعلمين الذين يغالون في انزال العقوبة , فالمعلم بمثابة الوالد , بل هو الأب الروحي للمتعلم وما يفعله الأب في عقاب ابنه يفعله المعلم في عقاب المتعلمين.

كما حذر المربون القدامى من التشدد والصرامة على المتعلمين, حيث أشاروا إلى أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده, فقد جاء عن ابن خلدون ((إن من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطابه القهر , وضيّق على النفس في انبساطها , وذهب بنشاطها , ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والحنث, وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه , فينبغي للمعلم في متعلمه , والوالد في ولده ألا يستبدوا عليهم في التأديب))(ابن خلدون،المقدمة،ص320)

وينبه ابن خلدون المعلم بعدم المبالغة لمن يستحق العقوبة بقوله "إذا استحق الضرب فلا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً" وذلك لما للضرب من أثر سلبي في نفوس المتعلمين , فقد أشار علماء التحليل النفسي في عصرنا الحاضر إلى القول بوجود عقدة نفسية كامنة في اللاشعور تحرك أفعال المرء في المستقبل(ابن خلدون،المقدمة،ص321)، وبذلك نصحوا وأرشدوا المعلمين الى التحلي باللين والرفق مع المتعلمين إذا اضطروا لاستعمال عقوبة الضرب معهم ، لأن اللين مطلوب في كل الأحوال وهو مع المتعلمين ألزم وأفيد , والله سبحانه وتعالى رفيق مع عباده ويحب الرفق , فما استعمل الرفق في شيء إلا زانه , ولا انتزع من شيء إلا شانه وعابه. والمعلم الناجح يكون رحيماً بمتعلميه, عطوفاً عليهم كأبيهم , مرناً في تعامله معهم في حل مشكلاتهم التي تعترضهم .منبهاً لهم مرة بعد أخرى عن اقترافهم للأخطاء وانزلاقاتهم العفوية, وذم لأفعالهم المشينة, ومدح أفعالهم المحمودة.

وفي هذا الصدد يرشدنا (شمس الدين الإنبابي) في سياسة الصبيان بقوله "ثم مهما ظهر منه خلق جميل وفعل محمود , فينبغي أن يكرم عليه , ويجازى عليه بما يفرح به , ويمدح به بين الناس لأن الثواب والعقاب تعزيز وتثبيت سلوك طيب, أو تعديل سلوك ضار غير مقبول عند المتعلم, فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة , فينبغي أن يتغافل عنه, و لا يهتك ستره, فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة , فعند ذلك إن عاد ثانياً ينبغي أن يعاقبه سراً, ويعظم الأمر فيه

ويقول له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا , فتفتضح بين الناس , ولا يكثر عليه الملامة في كل وقت, فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح , فإذا عاد أدّبه بما يليق من توبيخه"(حمو،1998،ص166).

وما نستنتجه من حديث أبن الإنبابي أن الثواب يعزز السلوك الايجابي, ويرسخ السلوك الطيب , وبذلك ينبغي أن يكافأ المتعلم على ما يصدر منه من أفعال أخذاً على قول (هل يستوى المحسن والمسيء) , فالذي لا يستجيب ويصر على ارتكاب المخالفات, ولا ينفع معه اللين والعطف , فينبغي استعمال معه عقوبة الضرب غير المبرح لردعه ومنعه وزجره عن السلوك السيء, وعقوبة الضرب ستخلف ألماً مباشر عند المتعلم فيتعظ ويلتزم بعدم تكرار الذنب مرة أخرى, كما أنها تستوجب العظة لغيره من المتعلمين , والسعيد من اتعظ بغيره كما يقولون.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مبدأ الاتعاظ بالعقوبة اقرّه الإسلام قال تعالى(وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)[1] . كذلك ينص القرآن الكريم على الضرب وانزال العقوبة البدنية على مرتكب الذنب قال تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا[2]) وقال تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله[3])

كما تشير السنة النبوية صراحة بضرب الأولاد على ترك الصلاة عن عمرو بن شعيب ابيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها اذا بلغوا عشراً وفرقوا بينهم في المضاجع [4]"

وبذلك فقد أجاز علماء المسلمين ضرب الولد في حالة ترك الصلاة, وفي كل الحالات التي يحتاج الوالد, أو المعلم إليها في تأديب الأولاد , وهذا لا يعني ترك الأمر دون قيود أو حدود حتى لا تخرج عقوبة الضرب من دائرة الاصلاح والتهذيب إلى دائرة الانتقام والتشفي, بل وضعوا شروطاً وقيوداً الزموا بها المعلم , فلا ينبغي له أن يتعداها أو يبالغ في ممارستها قال الإمام الغزالي " والأصلح للبهيمة ألا تخلو من سوط وكذا الصبي" وهذا يدل على أن المبالغة في الضرب محمودة , فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قوله "أشرار أمتي معلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين".

[1] سورة النور, الآية 2
[2] سورة النباء ,الآية 34
[3] سورة النور, الآية 42
[4] رواه أحمد وابوداوود

وقد حدد الشرع لعقوبة الضرب بما ورد في الحديث بعشرة أسواط فعن عبدالله بن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يضرب مؤمن فوق عشرة أسواط إلا في حد".

ما يرشدنا إليه الحديث الشريف أن عقوبة الضرب تكون لمن هم في سن العاشرة فما فوق, ويمنع تطبيقها على ما دون ذلك , بمعنى أن قبل سن العاشرة لا يجوز ضربه لحداثة سنه, وإذا استحق المتعلم انزال عقوبة الضرب , فينبغي على المعلم ألا يوغل في تنفيذ العقوبة , وألا يستغل هذا الترخيص ويصب جام غضبه على المتعلم بإنزال العقوبة بكل قساوة وشدة , بل يجب أن يتقيد بما وضعة علماء المسلمين من شروط ومعايير يمكن اختزالها في الآتي

1. أن يتثبت المعلم من حدوث الذنب من المتعلم, ولا توقع عقوبة الضرب إلا على خطأ اقترفه.
2. أن تكون عقوبة الضرب على قد الخطأ المرتكب , وألا تتحول إلى دائرة الانتقام.
3. أن تكون عقوبة الضرب من واحدة الى ثلاث ضربات ,وأن يستأذن المعلم ولي الأمر إذا رأى المعلم ضرورة زيادة العقوبة.
4. أن يتولى المعلم عقوبة الضرب بنفسه ولا يسمح لغيره بتنفيذها.
5. أن يكون الضرب على القدمين أو اليدين برفق ولا يتعدى التأثير المضر.
6. عدم الإسراف في انزال العقوبة لاتفه الأسباب والإمعان في العقاب.

بناء على ما تم طرحه وعرضه لعقوبة الضرب , فمن حق وزارة التعليم استصدار قرارها رقم (1736)* القاضي بمنع عقوبة الضرب بمرحلة التعليم الأساسي لما لها من آثار نفسية وجسمية على المتعلم, وضمن تغيير هذه النظرة التي تشرئب نحو إيقاف عقوبة الضرب يمكن أن نؤسس تصوراً لشكل العلاقة بين المؤسسة التربوية ووظيفة المعلم في الاتجاه الذي يخدم المتعلم , ويقوي موقع الفاعلية في انجاز الأنشطة التعليمية , ويحد من سلبياته ويقلل من تكاسله ووهنه.

2. الإرهاب التربوي:-

تبذل دول العالم جهودا حثيثة لتحقيق سياسات تربوية تتمثل في ديمقراطية العمل التربوي وتبني النظريات الحديثة في مجال التربية والتعليم, ومع ذلك فقد اشرنا في بداية هذه الدراسة إلى أن العنف ما يزال متفشياً بين أروقة فصولنا الدراسية , يمارسه المعلمون بشكل خفي حيناً , وصريح في كثير من الأحيان, وأن مظاهر الإرهاب تمارس على المتعلمين في إطار المدرسة والمنزل, وأن هذه الممارسات لها

* نص القرار (يمنع منعاً باتاً على مديري المدارس والمعلمين وغيرهم من العاملين بالمدارس استعمال الضرب والعنف بجميع أنوعه ضد التلاميذ والطلاب ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمسألة القانونية)

عواقب وخيمة على المتعلمين , وذلك في صورة آلام جسدية واحباطات نفسية مؤلمة, ولعل أبرز مظهر من مظاهر هذه الحالة ما يحدث من خبرات سلبية مؤلمة تتراكم مع الزمن فتحيل المتعلمين الى حالة من الاستلاب وعدم القدرة على التكيف داخل المؤسسة التعليمية والأسرية . وغني عن البيان أن العديد من الدراسات تؤكد أن الأجواء الأسرية المشحونة بالتوتر والصراع مهيأة للإصابة بالأمراض النفسية والسلوكية لدى الأبناء, حيث يشير الدكتور علي موسى الحوات(1987) أن الجو الذي يسود الأسرة الليبية يتصف عموماً بأوصاف سلبية كالتوتر النفسي والمشاحنات العائلية...اضافة الى استعمال الالفاظ القاسية, فالإساءة اللفظية التي يتعرض لها الأبناء قد تعد البداية الواقعية إلى الانخراط في العنف اللفظي(الحوات، 1980 ،ص21) وكما يقولون فإن العنف يقود إلى العنف.

فمازالت أساليب التربية التقليدية تسيطر على مجريات حياتنا , حيث تتجلى ذلك في ملاحظاتنا البسيطة التي ندركها في طابع العنف الذي يهيمن على علاقاتنا الأسرية ويمكن تحديد بعض الملامح الأساسية للإرهاب التربوي الذي يعم في أجواء الأسرة , والذي ينعكس سلباً على تكوين المتعلمين النفسي والعقلي.

الخلافات والصراعات الزوجية التي تحدث بين الزوجين في حضور الأبناء, حيث تعد هذه المنازعات مصدراً للإرهاب التربوي المسلط على الأبناء , وفي هذا الصدد تشير الدراسات النفسية إلى أن مثل ذلك يعد أحد الأسباب الرئيسية للأمراض والعقد النفسية التي يعاني منها الأبناء.(هاشم، 2008،ص188-190)

1. المشاحنات والشجارات التي تحدث بين الإخوة داخل الأسرة تخلف أثراً سلبياً في نفوسهم جراء تبادل الشتائم والسباب والضرب.
2. أساليب الاستفزاز والتهديد والوعيد التي يمارسها الكبار على الصغار والتي تفضي إلى مزيد من القلق والتوتر والخوف.
3. الأفكار السلبية المسبقة المستمرة التي يصدرها الأبوان على الأبناء من اخفاق وفشل خاصة عند تقصير الأبناء في أداء الواجبات المنزلية , أو عدم الحصول على درجات عالية , ووصف الأبناء بالكسل والخمول , مما يؤدي الى خلل في بنية الأبناء الذهنية والنفسية.
4. ما يتعرض له الأبناء من صور مخيفة يبثها التلفزيون, حيث يشاهد فيها الأبناء الدمار والموت والحرق وقطع الرؤوس , وهي تجسد التخويف والإرهاب , مما يؤدي الى جمود الإحساس والتبلد الذهني والعقلي.

وفي هذا السياق نستحضر إشارات عميقة ودلالات مفصحة على الإرهاب التربوي داخل المؤسسة التعليمية, فتاريخنا المدرسي يذكرنا بسيل عارم من الصفعات والضربات المؤلمة التي الهبت ظهور أجسادنا, فمازالت صور بعض المعلمين عالقة في اذهاننا وهم يحملون عصيهم ومساطرهم ويجلدون بها

كل من تقع عليه عقوبة بأسلوب فيه إرهاب وقسوة وقهر, متناسين القيم والمبادئ التربوية, حيث يصوّر أحد الذين تركوا المدرسة – من جيلنا– (لقد خرجنا من المدرسة أشلاء نفسية محطمة) .

ولا يمكن أن ينكر المعلمون ممارستهم للعنف في مدارسنا ويتضمن الأشكال التي يرتكبها المعلمون وغيرهم من موظفي المدارس عقوبة الضرب والإيذاء البدني وغيرها من أشكال العقاب في المعاملة القاسية المهينة, وهو سلوك إيذائي قوامه انكار الآخر كقيمة مماثلة (خليل،1996،ص 94).

وانطلاقاً مما تقدم يمكن أن نطرح تساؤلا عريضاً, هل قرارات وزارة التعليم المتعلقة بمنع عقوبة الضرب أوقفت فعلاً هذه العقوبة ؟ والتزمت إدارات المدارس والمعلمون بتنفيذها عن قناعة وتجاوب كاملين. وأن عهد الضرب والعقاب قد ولّى إلى غير رجعة , أم أن هناك وجوداً لمظاهر الإرهاب التربوي في إطار مؤسساتنا التعليمية؟

إن ما لا يمكن انكاره مع كل أسف في رصدنا لظاهرة الإرهاب التربوي يتأكد لنا أن معظم المعلمين يمارسون الإرهاب التربوي على المتعلمين بأشكاله المادية واللفظية, ضاربين بقرارات وزارة التعليم عرض الحائط, وهذا ليس سراً فها هو أحد المعلمين يتساءل صراحة لماذا لا يسمح لنا باستخدام عقوبة الضرب في المدرسة مع أن ذلك سائداً في إطار الأسرة, لماذا يمنع علينا ما هو مباح في الأسرة؟ أحرام علينا وحلال عليهم؟ ألم تكن الضرورات تبيح المحظورات؟ ومن يردع المتعلمين المشاغبين, فلا يمكن لنا أن نترك عقوبة الضرب.

وبالرغم من أن عقوبة الضرب قد تقلصت حقاً بين المعلمين إلى حدودها الدنيا, فإنه من الملاحظ أن ممارسة الإرهاب اللفظي ما يزال قائماً من بعض القائمين على العملية التعليمية, ويتضح ذلك في كل ما يصدر عن المعلم من أساليب الشتم والاستهزاء والعبارات الفضة , ومن خلال عملنا التدريسي بمراحل التعليم الأساسي ندرك ما يعانيه متعلمو هذه المرحلة من أساليب إرهابية داخل الفصول الدراسية من استخدام المعلمين لالفاظ التحقير والإهانة ضد متعلميهم.

ولعل السؤال الذي يمكن أن يطرح إزاء هذا الوضع, ما الأسباب التي تعد المسؤولة عن ممارسة الإرهاب داخل المؤسسة التربوية؟ للإجابة على هذا التساؤل نذكر بعض هذه الأسباب التي تشكل الإرهاب التربوي والمتمثلة في:-

1. إن المعطيات والخبرات التربوية السابقة لبعض المعلمين تكونت نتيجة مرورهم بحالات عنف عبر مراحل تعليمهم, وهو ما يبرر استخدامهم لعقوبة الضرب كقيمة تربوية.
2. القصور والنقص الشديد في مستوى الإعداد التربوي للمعلمين, وخاصة الذين لم يتحصلوا على فرص التأهيل التربوي, والحقيقة تقال فإن مدارسنا مليئة بالمعلمين غير المؤهلين تربوياً والذين لا يحملون أفكاراً عن النظريات التربوية الحديثة.

3. التركيز على الجانب المعرفي فقط في العملية التعليمية , واهمال الجانب النفسي والتربوي الذي يحقق التكامل والنمو في شخصية المتعلم, والمعلمون يهتمون بتحصيل المتعلمين معرفياً وغير مهتمين بالجوانب النفس ية والتربوية عند المتعلمين.

4. تشدد الآباء واستخدامهم لأشد أساليب العنف ضد أبنائهم إعتقاداً منهم أنه الأسلوب الأنفع لرفع مستوى تحصيلهم الدراسي, فالآباء عادة ما يطرحون هذا السؤال على الأبناء (هل نجحت وكم من الدرجات تحصلت).

5. ما يتعرض له المعلمون من أشكال الاستهزاء والسخرية والتهكم من زملائهم حين يحاولون تطبيق الأساليب التربوية الحديثة في آدائهم التربوي, فسرعان ما يتخلون عن أفكارهم ويعودون الى ممارساتهم الإرهابية.

6. وإذا كانت هناك من حقيقة إزاء هذا الواقع تفرض علينا نفسها للاعتراف بها, ولو مؤقتاً فإن المعلمين بالتعليم الأساسي يمارسون إرهاباً تربوياً في الوقت الراهن, كما كان سابقاً, وأن معظم المعلمين يكرسون المبادئ السلبية للتربية التقليدية التي تشكلت عندهم على مدى سنوات تعلمهم وتعليميهم

ملاحظات ونتائج مفتوحة: لعل أهم ما ينبغي الحرص عليه في هذا الصدد اكساب المتعلم المناعة الضرورية لحمايته من كل ما يمكن أن يؤدي إلى إرهابه وتعنيفه مادياً ولفظياً, وذلك لأن الممارسة الدمقراطية تتيح للمتعلم المناخ اللائق للنمو والتطور, في حين أن الممارسة الإرهابية من شأنها أن تعمق عملية استلاب شاملة للمتعلم, ويمكن تحديد نتائج وسلبيات الممارسة الإرهابية على شخصية المتعلم بما يلي:-

1. إن الإرهاب الذي يمارسه المعلمون يؤدي إلى إيجاد متعلمين ينتابهم العجز والعي والقصور.

2. أن الإرهاب التربوي يولد الشخصية السلبية الضعيفة التي لا تستطيع تحمل المسئولية والقدرة على التفاعل داخل إطار البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها.

3. إن الإرهاب التربوي يعمل على تعطيل قوى الفعل والإبداع والابتكار في شخص المتعلم, ما يؤدي إلى إيجاد الفشل والإخفاق التربوي.

4. إن الإرهاب بجميع أشكاله من شأنه تفريغ المتعلم من محتواه, وانتزاع فتيل طاقة التفكير المبدع عنده وحرمانه من عنصر الحرية الأساسي لتكوين شخصيته.

لهذه الأسباب ولغيرها هناك أصوات تنادي بأنه ينبغي توقف كل ما يمكن أن يؤدي إلى الإرهاب التربوي سواء في إطار الأسرة , أو في إطار المؤسسة التربوية, ذلك أن النجاح والتفوق الدراسي مرتبط بإحساس المتعلمين بهامش العلاقات الإنسانية, وبما يتمتعون به من تعليم ديمقراطي, فالإبداع والابتكار مرهون بدرجة الحرية التي تمنح للمتعلمين دون توقف لكوامن قدراتهم والحد من انطلاقهم.

نتائج الدراسة:-

1. عدد كبير من الأسر الليبية تعامل في أبنائها معاملة سيئة مفادها الصرامة والضرب لعدم إدراكهم لأسباب التربية الحديثة, خاصة إذا تعلق الأمر بالتحصيل الدراسي.
2. يتعرض الأبناء لضغوطات نفسية من الأسرة وعقوبات إيذائية من المدرية بما يشكل عندهم شخصية ضعيفة غير قادرة على تجاوز المحن والشدائد.
3. إن الإرهاب التربوي يحدث نتيجة سلسلة من الخبرات المؤلمة التي يتعرض لها المتعلم عبر سيرته التربوية في إطار كل من الأسرة والمدرسة.
4. معظم المعلمين الذين يمارسون أساليب العنف بأشكاله المادية واللفظية يركزون على تحصيل المتعلمين معرفياً, ويهملون الجوانب النفسية والوجدانية.
5. معظم المعلمين ومديري المدارس ما يزالون مقتنعين باستعمال أساليب الشدة, وإنزال عقوبة الضرب ضد المتعلمين باعتباره الأسلوب الأفضل لرفع مستوى تحصيلهم الدراسي ودفعهم إلى التعلم.

التوصيات والحلول

1. أن يتجنب الوالدان المعاملة السيئة مع أبنائهم إن بدرت منهم اخطاء عفوية وأن يحرصوا على عدم إظهار الخلافات والمشاحنات الأسرية في حضور الأبناء, ما ينعكس سلبياً على نموهم وتكوينهم النفسي والعقلي والاجتماعي.
2. عدد كبير من المعلمين ما يزالون يمارسون العقوبات التربوية المادية واللفظية بحجة أنها أسلم وسيلة لرفع مستوى تحصيل المتعلمين دراسياً, ودفعهم إلى التعلم وهو ما يتنافى مع ما جاءت به التربية الحديثة من قيم ومبادئ تربوية.
3. كم هائل من المعلمين ليست لديهم مؤهلات تربوية تفيدهم في عملهم التربوي وكما يقولون (ففاقد الشيء لا يعطيه) ، وبذلك ينبغي سد النقص والقصور في مستوى التأهيل والإعداد التربوي.
4. إقناع المعلمين ومديري المدارس بالابتعاد عن عقوبة الضرب نهائياً عند التعامل مع المتعلمين, وذلك من خلال إقامة ندوات وورشات عمل تتعلق بالموضوع.
5. تشكيل لجنة لمتابعة قرارات وزارة التعليم يناط بها مسؤولية تجفيف منابع الإرهاب التربوي في مؤسساتنا التعليمية, وإيقاف هذه الظاهرة المؤلمة لأبنائنا, والقيام بزيارات خاطفة لمواقع الإرهاب التربوي, والتنديد بالممارسين لهذه الظاهرة ومعاقبتهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. حديث شريف
3. عمر بشير الطويبي(1986). تهديب سلوك الأطفال.- مصراتة : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان.
4. علي وطفة (1997). " الإرهاب التربوي " .- مجلة العربي، ع 466 ، مارس.
5. عبدالرحمن بن محمد بن خلدون(1992). المقدمة ابن خلدون .- بيروت : مكتبة لبنان
6. عبدالحميد سليمان حمو (1998). " التربية بالعقاب والثواب ".- مجلة العربي ، ع 475 ، يوليو
7. علي موسى الحوات (1980). دراسات عن الشباب الليبي وبعض مشكلاته الاجتماعية.- طرابلس : جامعة طرابلس.
8. مروة هاشم (2008) ." التقرير العالمي بشأن العنف ضد الاطفال"._ مجلة العربي ،ع592 ، مارس.
9. خليل أحمد خليل(1996). معجم مفاهيم علم الاجتماع .- بيروت: معهد الإنماء العربي.
10. قرار وزير التعليم رقم (1736) لسنة 2017 بشأن تنفيذ قواعد تهذيب الطلاب مادة رقم (1).